غرائب الاحلام وتعليلها

من غرائب الاحلام والمسائل المشكلة على العوام تصديق النائم ما يراهُ في حلمهِ مع غرابتهِ وعدم ملائمتهِ للحوادث الاعتيادية كتصديق من يرى الموتى في حلمهِ انهم احياء وتصديقهِ حلمهُ انهُ يطير ونحو ذلك . وسببهُ حكمنا بوجود الاشياء حقيقةً من استقلالها عن ارادتنا وعدم خضوعها لنا في الوجود والعدم . وبيان ذلك انَّا اذا اردنا فتصوَّرنا جبلاً في اليقظة علمنا ان الصورة عينها غير موجودة في الخارج حقيقةً وانما هي تصوُّر نريد ان يكون فيكون او ان يزول فيزول بخلاف ما اذا نظرنا جبلاً في الخارج فاننا نعلم انهُ موجود لاستقلالهِ عن ارادتنا فسواء اردنا ام لم نرد لا يزول بمجرَّد الارادة . فيكون حكمنا بوجود الاشياء في الخارج من استقلالها عن ارادتنا كما تبيَّن . وبما ان النائم لا يعلم بما في الخارج ولا تتسلَّط ارادتهُ على قوى عقلهِ بحسب ما يراهُ في حلمهِ من الموجودات في الخارج و يصدق وجودهُ حالاً كان او ممكناً لاستقلالهِ عن ارادتهِ

ومن غرائب الاحلام اختلاطها وعدم موافقة اجزائها بعضها لبعض حتى يقال لها اضغاث احلام . وسببهُ ان النائم لارتفاع سلطان ارادتهِ عن قوى عقلهِ تجري افعال عقلهِ كلٌّ مجرَّى بلا ضابط ولعدم علمهِ بشيء في الخارج لا يجد ما يقيس عليهِ تلك الافعال اي احلامهُ فيخلط ولا ينظر الى خلطهِ واضغاث احلامهِ قلَّت او كثرت خنيت او وضحت . ومن غرائبها حسبان النائم زمان الحلم طويلاً مع انهُ ينقضي في طرفة عين وذلك يظهر ممَّا روي عن رجل حلم انهُ وُلد وعاش وتزوَّج وَوَلد اولاداً وقضى افراح حياتهِ واتراحها ثم تخاصم مع رفيق لهُ على شاطئ بحيرة وصارعهُ فصرعهُ رفيقهُ واغرقهُ في البحيرة فمات فحينئذٍ استيقظ فوجد انهُ حلم حلمهُ كلهُ او اكثرهُ من رش يسير من الماء على وجههِ فرأى ما رأى بين رش الماء واستيقاظهِ . وممَّا رُوي عن آخر حلم انهُ تجند فضمَّ الى فرقة ثم فرَّ فقبض عليهِ وردَّ الى فرقتهِ فاستنطق وحكم باطلاق الرصاص عليهِ وقيد للقتل واطلق الرصاص عليهِ فانتبه واذا الجيران يضجُّون لحلم ما حلم بصوت ضجيجهم . وسبب ما تقدَّم هو عدم معرفة النائم بالزمان والمكان وتصديقهُ ما يرى في نومهِ كما تقدَّم فيقدِّر لكل حادثة يراها ما تنقضي من الزمان والمكان لو حدثت في اليقظة فيحسب مدة فرارهِ من بلدة الى أخرى تبعد عنها خمسة ايام خمسة ايام مع انها لا تكون اطول من مدة التفكر في الفرار

ومن غرائبها ايضاً صدق بعضها ومطابقة تفاصيلهِ للواقع مطابقةً تامة حتى ان البعض يزعمون ان مصدرهُ فوق الطبيعة ولا يتم الاَّ باتصال عالم الارواح بعالم الاحياء كما سترى . ونذكر لك هنا طرفاً منهُ قبل تعليلهِ اتماماً للفائدة فنقول . روى شيشرون ان رجلين من اهل اركادية قدما مدينة

مغارا وباتا في منزلين مختلفين فحلم احدهما ان رفيقه يستغيثه متظلما ثم رآه واقفا به قتيلا وقائلا له اذا اصبحت فاقصد الى الباب الفلاني فترى مركبة مغطاة يسوقها رجل فامسك به فانه قاتلي وتجدني في المركبة. فهب الرجل من حلمه مذعورا وقصد الباب فاذا القاتل يسوق المركبة مغطاة وصاحبه مقتول فيها فامسك القاتل وسلمه الى الحاكم. وذكرت جريدة التيمس ان رجلا يُدعى وليمس حلم ثلاثا بقتل مستشار انكليزي في رواق مجلس الاهالي فقصّ حلمه على جماعة من اصحابه وفي الليلة التالية قتل المستشار مستر برسفل في رواق المجلس كما حلم وليمس. وروى الدكتور أبركرمبي ان اختين كانتا نائمتين في غرفة تحاذي غرفة اخيهما المريض فحلمت الواحدة ان ساعتها وقفت وحلمت الاخرى ان نفس اخيها انقطع فقصّت كلٌّ حلمها على اختها فذهبت هذه الى اخيها وتلك الى ساعتها فلم تجدا شيئاً من ذلك. وفي الليلة التالية عاود كلاًّ حلمها فركضت هذه الى ساعتها وتلك الى اخيها فاذا الساعة واقفة والاخ ميت. وروى بعض الثقات ان صبيّة انكليزية ذهب خطيبها في جيش السرجون مور يحارب اهل اسبانيا فجزعت على فراقه جزعاً شديداً واشتغل قلبها بالهموم والمواجس حتى رسخ في ذهنها انها حرمت ملقاه في هذه الحياة فدق جسمها وانحطت قوتها وازال السقام حسنها وجمالها. وكان اهلها يطوفون بها البلدان ويكثرون لها من الملاهي املاً بان تتسلى على فراق حبيبها فكانت كلما زادوها اسباب بسط وارتياح تزيد هماً وغماً حتى لازمت الفراش عليلة المواجس والاوهام. وبينما هي تتقلب ذات ليلة على فراش السقام والحسرات اخذ تها سنة النوم وانكشفت لها مكنونات الخيال فرأت طيف حبيبها متبلاً اصفر المنظر باسم الثغر جريح الصدر مضرجاً بالدم حتى دنا من سريرها فازاح الستار ونظر اليها ولوائح اللطف والرقة تلوح على وجهه وقال لها اني قد قُتلتُ في الحرب فتصبري ايتها الحبيبة على موتي ولا تجعليني نغصاً لعيشك. فلما افاقت من نومها قصّت حلمها على والديها مصدقة كل ما فيه واستحلفتهم ان يكتبوا ما قصّت عليهم فيعلموا أصحيح هو ام فاسد. وما لبثت بعد ذلك ان حضرتها الوفاة فتوفيت. ثم ورد على اهلها الخبر بقتل خطيبها في موقعة كورونيا في نفس الليلة التي حلمت فيها. وذكرت جريدة ادنبرج ان جماعة من الشبان ازمعوا ان يذهبوا في قارب للبسط والصيد وفي ليلة يومهم المعيّن حلمت عمّة بعضهم ان القارب غرق بهم فصرخت في نومها خاصوهم خاصوهم فايقظها زوجها وقال هل من هاجس اشغلكِ نهاراً بذهاب ابن اخيكِ للصيد قالت ان ذلك لم يخطر على بالي ثم عادت فنامت فصرخت اني ارى القارب يغرق فايقظها زوجها قالت ربما كان هذا من تأثير الحلم الاوّل في نفسي ثم نامت فصرخت ثالثة ماتوا ماتوا وغرق القارب فايقظها زوجها فقالت له دعني اذهب فامنع ابن اخي من الذهاب فاني لا تقرّ عيني اذا غاب حتى يعود فقامت الى غرفة ابن اخيها وما زالت به حتى اذعن لها وعدل عن الذهاب و بعث

الى رفاقهِ يعتذر لهم عن عدولهِ ولما اصبح الصباح كانت السماء صحوًا والطقس بهجًا معتدلاً فركب رفاقهُ القارب وقضوا اكثر نهارهم بالبسط والحبور حتى دنت الشمس من الاصيل فثار نوء شديد فهاج البحر وارتفعت امواجهُ وابتلعت القارب بمن فيهِ

ومن غرائب الاحلام ايضًا ان يعرف الانسان منها وقت موتهِ . حكي ان رجلاً حلم انهُ ركب جوادهُ وخرج يتنزَّهُ فمرَّ بجماعة من معارفهِ يتعاطون الشراب على دكة بجانب الطريق فحيَّاهم بالسلام وجلس معهم يتناول المدام حتى حان وقت انصرافهِ فاستاذنهم في الذهاب فاجابوهُ الى ذلك على ان يرجع اليهم بعد ستة اسابيع . فلما افاق من نومهِ اذا كل اولئك الرجال موتى فجعل يقصُّ حلمهُ على اصدقائهِ مازحًا ويودعهم ساخرًا اذ لم يصدِّق ما حلم ولما تمَّت ستة الاسابيع اتفق انهُ كان راكبًا جوادًا فعثر بهِ فسقط عنهُ فاندقَّت عنقهُ ومات طبقًا لحلمهِ . ومما يتعلق بهذه الغرائب ان يذكر الانسان في حلمهِ تفاصيل ما نسيهُ في اليقظة . روى السر ولترسكوت الشهير ان رجلاً صاحب املاك من اهالي اسكوتلاندا ادَّعى عليهِ بعض الاشراف بمبلغ كبير عثرًا عن جانب من اراضيهِ . وكان يعلم ان اباهُ استخلص في حياتهِ حجة برفع ذلك العشر عن ارضهِ فطلب الحجة بين اوراقهِ فلم يجدها وسأل الذين كانت اشغال ابيهِ تتعلق بهم وفتَّش سجلات المحكمة فلم يقف على اثرها حتى ملَّ من السؤال والتفتيش فعزم على دفع المبلغ واعتمد على ان يذهب في الغد الى مدينة ايدنبرج ينظر في تلطيف الدعوى ورقد كئيبًا كاسف البال فحلم ان اباهُ وقف بهِ (وكان قد مات منذ زمان طويل) وقال لهُ مالي اراك كئيبًا قال اني وقعت في ورطة غير منتظرة فان فلانًا اقام عليَّ الدعوى بعشر الاراضي الفلانية وانت تعلم انك استخلصت لي حجَّة بالتخلص من هذا العشر الاَّ اني فتَّشت عنها كل بقعة فلم اعثر عليها فصرت مجبورًا على دفع المال بلا حق . قال ابوهُ صدقت يا ابني فان فلانًا القاطن بانفرسك استخلص الحجة لي ولم يكن لهُ تعلق باشغالي الاَّ في هذه الدعوى . ولعلهُ نسيها ولكن ربما ذكرها اذا ذكرتهُ بأني لما أردت ان ادفع لهُ اجرتهُ لم تيسَّر لنا تكملة الحساب فشربنا بها في حان فلان . فلما افاق الرجل من نومهِ قال لا بدَّ لي من الذهاب اوَّلاً الى انفرسك فانها على طريقي الى ايدنبرج . فاتى الرجل فوجدهُ شيخًا قد جلَّلهُ الشيب فذكَّرهُ بالحجة بدون ان يخبرهُ بحلمهِ فتفكَّر الرجل طويلاً ثم قال اني لا اتذكَّر فقال لهُ ألا تذكر اذ انت ووالدي تشربان في حان فلان . قال بلى وعمد الى اوراقهِ وعاد والحجة في يدهِ فاغناهُ عن دفع ذاك المبلغ . قال الراوي والذين نقلت عنهم هذا الخبر ممَّن بركن اليهم وانا اوافق على صحتهِ مع ما فيهِ من الغرابة . ولكني لا اعتقد ان ما ذكر فيهِ حدث حدوثًا خارقًا للطبيعة اذ العاقل لا يصدِّق ان الباري تعالى يخالف الشرائع التي رتبها ويردروح ابي هذا الرجل الى عالم الاحياء لمجرَّد ان يغنيهِ عن دفع مبلغ من الدراهم . وعندي ان اباهُ كان قد اخبرهُ

بذلك قبل موته ولكن لم يبقَ في ذكرهِ منهُ غير انهُ معني من دفع الاعشار بحجة . فلما اقيمت عليهِ الدعوى لم يذكر هذا الخبر في اليقظة فذكرهُ في المنام. وكانت عاقبة هذا الحلم عليهِ ان صحتهُ ضعفت وعقلهُ قلَّ من شدَّة اعتبارهِ لاحلامهِ ومراعاتهِ لالعاب مخيلتهِ واه . نقول ونحن نوافق على تعليل هذا الحلم بما تقدَّم ولا نرى فيهِ شيئاً من تداخل عالم الارواح في عالم الاحياء والَّا فما يكون تفسيرنا للحلم الآتي . ذهب احدنا الى قرية مجدل شمس في صيف سنة ١٨٦٥ وكان اهلها يتطفلون عليهِ بمسائل كثيرة طفيفة ومن جملتها ما الاجاص بالانكليزية فلما اراد استحضار هذه الكلمة خانتهُ الذاكرة فاشتغل بردها مدة فلم يقدر ثم حلم في ليلة انهُ في القدس يقرأ على استاذ الانكليزية فسألهُ ما الاجاص بالانكليزية قال لهُ هو كذا أوَلم اعلمك ذلك في الدرس الفلاني فاصبح وهو يذكر الكلمة. فهذا الحلم كذاك في جوهرهِ والفرق بينهما انهُ في هذا ذكَّر النسيان مقرَّر واما في ذاك فذكر النسيان غير مقرَّر كل التقرير ولكن العقل يدل عليهِ . وما من عاقل يقول ان هذا الحلم الاخير حدث حدوثاً خارقاً للطبيعة فانما هو مجرَّد تذكُّر

اما تعليل الاحلام الباقية وما شاكلها فالناس فيهِ على اربعة مذاهب فاهل المذهب الاوَّل يقولون انها من العجائب الخارقة الطبيعة التي تتم باتصال عالم الارواح بعالم الاحياء. واهل المذهب الثاني يقولون انها لا تستلزم خرق الطبيعة وليس بها من الاهمية ما يحمل على تعليلها ذلك التعليل ولا ينكرون ان الوحي نزل بالاحلام في الزمان الغابر كما في الكتب المنزلة ويعتقدون انهُ يوجد ناموس طبيعي لم يكشف حتى الآن بهِ يتأثر الجهاز العصبي تأثرًا زائدًا بحيث يشعر بما لا يشعر بهِ في الاحوال المعتادة فيصير علم العقل ببعض المؤثرات كالعلم بالغيب . كذا يعلل جماعة النوم المعروف بالسومنبولسم المغنطيسي . واهل المذهب الثالث ينكرون ما تقدَّم (الَّا ما في الكتب المنزلة عن الاحلام) ويقولون ان الاحلام إن تصدق فانما تصدق صدفةً واتفاقاً ولا يصدق حلمٌ واحدٌ في المليون فكم من انسان يحلم انهُ سيموت في هذا اليوم وتلك الساعة فاذا جاء يومهُ قدَّم اهلهُ عقربي الساعة واوهموهُ ان وقت موتهِ قد مضى تسكيناً لاوهامهِ واراحةً لعقلهِ واذا اتفق انهُ صحَّ حلمٌ من الوف الوف من الاحلام طنطلوا بهِ ونخَّلوا لهُ التأويل والتعليل . واهل المذهب الرابع يقولون انها كلها اضغاث احلام لا ياخذ بها العاقل فان يوجد فيها درهم من الصدق ففيها قناطير من التلفيق والتوفيق فلا تستحق عندهم التعليل. اما تعبير الاحلام كتأويل الحمل بالموت والصندوق بالنعش والماء بالشدة والدم بكذب الحلم ونحو ذلك من تعبيرات العامَّة فظاهر بعدما ذكرنا من الخرافات التي ولَّدها الوهم وقرَّرها التقليد والله اعلم